المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

اضافات المدرسة البغدادية في النحو العربي

رحمان حمود محمود احمد
وزارة التربية - مديرية تربية محافظة كركوك – مدرس
07709353589
075004951440kork@gmail.com

ملخص البحث:

هدف البحث الحالي إلى دراسة ما استحدثته المدرسة البغدادية في النحو العربي. تم الإعتماد على المنهج الوصفي لوصف ما استحدثته المدرسة البغدادية في النحو العربي. أظهرت نتائج الدراسة أنه بعد محاولات مثمرة تمكن العلماء البغداديون من تأسيس مذهب فكري ومدرسة نحوية مستقلة من حيث تناول المسائل النحوية. وكان هدف علماء هذه المدرسة البحث عن الحقيقة العلمية بعيدا عن التعصب. كما تأثر علماء هذه المدرسة بالمنطق فبنوا كثير من قضايا التعليل والاستدلال على عملية عقلية تخضع للمنطق النحوي. ويتميز النحو البغدادي بطريقة خاصة في التعامل مع مصادر النحو العربي كالسماع والقياس. وقد انفرد علماء المدرسة البغدادية بآراء نحوية أضافت نكهة خاصة للنحو العربي.

الكلمات المفتاحية: النحو، المدرسة البغدادية، السماع، القياس، النحو البغدادي، النحو العربي.

Baghdadi School's additions to Arabic grammar

Rahman Hamoud Mahmoud Ahmed
Ministry of Education - Kirkuk Governorate Education Directorate – Teacher

Abstract:

The current research aims to study what the Baghdadi school has introduced in Arabic grammar. The descriptive approach was used to describe what the Baghdadi school has introduced in Arabic grammar. The results of the study showed that after fruitful attempts, Baghdadi scholars were able to establish an intellectual doctrine and an independent grammatical school in terms of addressing grammatical issues. The aim of the scholars of this school was to search for scientific truth away from fanaticism. The scholars of this school were also influenced by logic, so they built many issues of reasoning and inference on a mental process subject to grammatical logic. Baghdadi grammar is distinguished by a special way of dealing with the sources of Arabic grammar, such as listening and analogy. The scholars of the Baghdadi school were distinguished by grammatical opinions that added a special flavor to Arabic grammar.

Keywords: Grammar, Baghdadi school, listening, analogy, Baghdadi grammar, Arabic grammar.

المقدمة:

كان النحو العربي قديما لايخضع لقواعد محددة، فقد تكلم الإنسان العربي بلغة خالية من العيوب معتمدا على سليقة ذات منهج دقيق أساسه الذوق الراقي والنطق السليم. ثم مالبث علم النحو حتى صار نشاطا عقليا وذهنيا بعد أن أحس العرب في منتصف القرن الأول الهجري بخطر يداهم لغتهم بسبب انتشار اللحن الذي مصدره الأعاجم الذين امتزجوا بالمسلمين بعد الفتوحات، فكان من الطبيعي أن يتطور وينمو حتى صار علما مزدهرا

تصنف فيه الكتب وتكثر فيه الإتجاهات والمذاهب والإختلافات والمدارس النحوية التي كانت العراق بيئة خصبة لنشأتها ونموها وتطورها.

وفي بحثي هذا تناولت إحدى هذه المدارس وهي المدرسة البغدادية النحوية. ولما بدأت البحث كان لزاما توضيح أسئلة الدراسة، كالتالي:

١-ما هو مفهوم النحو؟ وما مفهوم المدرسة؟ وما أسباب ظهورها؟

٢-ماخصائص المدرسة البغدادية؟

٣-كيف نشأت المدرسة البغدادية؟ ومن هم علمائها؟

٤-ما القواعد النحوية الخاصة بالمدرسة البغدادية؟

٥-ما الأراء النحوية المستحدثة لدى علماء هذه المدرسة؟

منهج البحث:

-المنهج التاريخي الذي من شأنه البحث عن الفكرة حسب التسلسل الزمني.

-الإعتماد على النصوص ومنهج علماء المدرسة البغدادية لكي يتسنى استخلاص الآراء النحوية المستحدثة

نشأة اللغة العربية:

كانت نشأة اللغة العربية في بلاد الجزيرة العربية خالية من أي عيب يمكن أن يلحق بها، فلقد كانت صحيحة وسليمة لاغبار عليها. وفي ظل هذا النقاء للغة العربية حرص أهلها على أخذها وتلقيها على السليقة والسجية، فأبدعوا وأجادوا في فنونها وأثروا في الناس بأساليبها الجميلة وفنونها العديدة. ولطالما تحولت أسواقهم الى نوادي أدبية يتبارى فيها الشعراء والفصحاء بكل ما لديهم من أشعار وخطب وبيان.

لقد كان الانسان العربي يستهجن اللحن في الكلام وعمل جاهدا على الإبتعاد عنه في نظمه وخطبه وحرص على إصلاح لسانه. يقول أحدهم لبنيه "يا بني أصلحوا ألسنتكم فإن الرجل قد يستعير من أخيه دابته أو ثوبه ولايستعير لسانه[1]. ولقد ظلوا على هذه الطريقة يتكلمون لغتهم بكل إتقان دون الحاجة إلى تعلم قواعدها. وما أن أطل الاسلام بنوره حتى انتشرت رايته في الآفاق وتوسعت الفتوحات ، فامتزجت الشعوب العربية المسلمة بغيرها من الشعوب. وكان لهذا أثره البالغ في انتشار ظاهرة اللحن واعوجاج اللسان.

وروي أن رجلا من البلديين قال لأعرابي: "كيف أهلك"؟ قالها بكسر اللام، قال الأعرابي: صلبا، فقد أجابه على فهمه فلم يعلم أنه قصد سؤاله عن أهله وعياله[2]. فلقد تكونت لدى الأعراب في ذلك الزمن عن النحوي على أنه يتصنع الكلام، ويقصدون بذلك تشدق النحويين في كلامهم وتكلفهم فلم يتبادر إلى أذهان العرب أن الإعراب بالنسبة للغة العربية وشاح تتوشح به ولكنهم اتخذوه وسيلة تعبيرية يحمل أثقل عبء في أداء المعاني الدقيقة، على نقيض اللغات الأخرى غير المعربة التي تجعل بناء الجملة ونظامها قائما مقام الإعراب.

فالانسان العربي كان استخدامه للمصطلحات النحوية استخداما عفويا دون علمه بخصوصياتها وليس بالإمكان تحديد نشأة تلك المصطلحات النحوية تحديدا دقيقا، لكن المؤكد أن هذه المصطلحات قد سايرت نشأة النحو[3]. وكان أول ظهور للحن في القضايا التي تتعلق بالإعراب[4].

مصطلح النحو:

(1) بروكلمان(كارل)تاريخ الأدب العربي،ترجمة السيد يعقوب بكر،ورمضان عبدالتواب.
(2) الجاحظ أبو عثمان بن بحر،(١٩٤٩)،البيان والتبيين، دار الغرب الإسلامية، بيروت.
(3) جعفر عبابنة،(١٩٨٤)،مكانة الخليل بن أحمدالفراهيدي في النحو العربي.
(4) أبوالعباس المبرد، الشعر والشعراء، دارالمعارف بيروت.

ويقصد به كما ورد في المقاييس "إمالة الشيء من جهته، وهذا من الكلام المولد ذلك لأن اللحن لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة.[5]

نشأة النحو:

لقد تعددت الروايات وتباينت الآراء حول وضعه، بيد أن هناك بعض من الروايات تذكر أبا الأسود الدؤلي بوصفه واضع الأسس الأولى لعلم النحو. فقد ذكر ابن سلام أن من أسس العربية ، وفتح بابها، ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي[6].

ويقول الزبيدي: أن واضع النحو هو نصي بن عاصم[7]. وفي قول آخر أن واضعه عبدالرحمن بن هرمز. فمن الملاحظ تعدد الروايات واختلافها، غير أن الزبيدي يرى أن هؤلاء الثلاثة قد اشتركوا في وضع النحو يقول: "أول من أصل ذلك وعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبدالرحمن بن هرمز، فأصلوا النحو ووضعوا له أبوابا.

مفهوم النحو:

يشير مصطلح النحو إلى أنه "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب[8]. ويقول الجرجاني بأنه:ى"علم بقوانين من خلالها يتم معرفة أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها. وقيل علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفساده[9].

وعليه، يمكن القول أن النحو هو علم يعرف به الصحيح من الكلام والفاسد منه، مصدره مستنبط بالقياس والإستقراء من كلام العرب، والهدف من دراسته فهم بناء الجملة وتحليله تحليلا لغويا يكشف عن أجزائها.

تعريف النحو:

النحو لغة:

هو الطريق والجهة والقصد، وذكر الأشموري لهذه الكلمة معان منها:

-القصد، يقال: نحوت نحوك، أي قصدت قصدك.

-المثل أو التمثيل، نحو: مررت برجل نحوك، أي مثلك.

-المقدار، نحو: له عندي نحو ألف، أي مقدار ألف.

-الجهة، نحو: توجهت نحو البيت، أي جهة البيت[10].

أما اصطلاحا فهو العلم الذي يهدف الى ضبط الملكة اللسانية بالقوانين المستقراة.

أهمية علم النحو:

يعتبر علم النحو مهما في ضرورة فهم آيات ونصوص القرآن الكريم فهما لايشوبه لبس أوغموض أو خطأ، إذ أن موقع الكلمة في التركيب اللغوي يؤثر في المعنى المقصود منها. وللنحو فائدة كبيرة فيما يتعلق بالتفسير، وهو تقويم كتاب الله عزوجل كونه المصدر الأساسي للدين. كما أن للنحو أهمية كبيرة في علم الحديث النبوي من خلال المحافظة على كلام رسول الله ﷺ من التحريف والتبديل. كما أن بعض العلماء أوجبوا تعلم النحو لمن يريد دراسة الحديث فيكون تعلم النحو سابقا لتعلم الحديث.

---

(5) أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،دار الجيل،بيروت.
(6) ابن سلام الجمحي،(١٩٨٠)،طبقات فحول الشعراء،دار مدني، جدة.
(7) أبوبكر الزبيدي الإشبيلي،(١٩٧٣)،طبقات النحويين واللغويين، دارالمعارف،مصر.
(8) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية.
(9) الجرجاني علي بن محمد الشريف(١٩٨٥)،التعريفات،مكتبة بيروت،لبنان.
(10) الأشموني،منهج السالك إلى ألفية ابن مالك.

ويمكننا القول أن عدم التمكن من معرفة الدلالات النحوية يؤدي إلى جهالة الإفادة المقصودة من الكلام، أضف إلى ذلك ما يحدثه من إخلال في الفهم، وهذا لايتناسب مع علم اللغة.

المدارس النحوية:

مفهوم المدرسة:

المدرسة لغة مصدر مشتقة من الفعل الثلاثي درس، ودرس الشيء يعني جزأه، نقول: درس الشيء والرسم يدرس دروسا ودرسته الريح درسا، محته إذا تكررت عليه، فعفته، ومن المجاز درس الكتاب يدرسه بالضم ويدرسه بالكسر ودرس الدرس يعني جزأ الدرس ليسهل تعلمه على أجزاء[11]. والمدرس الكثير الدرس والتلاوة في الكتاب والمدرس الموضع يدرس فيه جمع مدارس مكان الدرس والتعليم، والمدرسة مجموعة من الفلاسفة او الباحثين او المفكرين تعتنق مذهبا معينا او تنادي برأي مشترك[12].

اصطلاحا:

عبارة عن آراء موحدة يتواضع ويقول بها مجموعة من الناس تشكل رؤية ما لهم طريقة في التفكير مميزة. أما مصطلح المدارس النحوية فهو يشير إلى اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي كان الاختلاف واردا في بعض المسائل النحوية الفرعية فيما بينها، ونسب كل اتجاه منها الى بلد عربي معين فكانت هناك مدرسة الكوفة والبصرة ، والمدرسة البغدادية.

وهذا يصل بنا الى التقسيم التالي:

-نسب العلماء الى بلدانهم، وهذا قد يوحي بوجود مذهب خاص بهم وقد لايوحي بذلك.

-تقسيم مناهجهم وطرقهم وأطلق عليهم مذهب، وهي مرحلة متأخرة عن الأولى.

-في الوقت المعاصر إطلاق مدرسة على المذهب او على أهل الأمصار ولكن بعضهم لم يطلقوا على تلك المدارس اسم (مدرسة) مستندين على مفهوم المدرسة بحكم ان تلك المدارس تسعى إلى هدف واحد، وهو النحو العربي، بثوابت مشركة بينهم. ومن الملاحظ أن اختلافهم كان نادرا ومحصورا في بعض الفروع ولذلك اطلقوا عليها المذاهب، أي : مذهب البصرة والكوفة.

بيد أن بعض العلماء فضل تسمية تلك المذاهب باسم المدرسة النحوية خاصة علماء العصر الحديث

وقد رتب بعضهم علماء النحو وذلك حسب بلدانهم ومناطقهم التي ينتسبون إليها، ومن هؤلاء سلام الجمحي الذي ترجم لأبي الأسود الدؤلي واعتبره مؤسس علم العربية وليحيى بن يعمر وعبدالله بن اسحاق ولأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي ولم ينسبهم إلى مدرسة وانما عدهم من أهل البصرة[13].

أسباب ظهور المدارس النحوية:

لم يكن النحو قديما يعرف بإسم المدارس النحوية بل كان يعرف بالعربية والإعراب والكلام، ومن الملاحظ أن ظهور هذا المصطلح أو التسمية كان في عصر الطبقة الثانية من علماء البصرة إذ اشتهرت عنها مؤلفات وصفت بأنها نحوية.

وتؤكد المصادر أن العراق هو مكان نشأة النحو العربي وذلك للأسباب التالية[14]:

١-قبل الفتح الإسلامي كان العراق ملجأ للعجم، أما بعد الفتح فقد توافد عليها المسلمون من العرب والعجم وذلك لتوفر مقومات الحياة ورغد العيش.

(11) ابن منظور ،لسان العرب،دارلسان العرب،بيروت.
(12) المرتضى الزبيدي،(١٩٦٩)،تاج العروس،طبعة الكويت.
(13) خديجة الحديثي،(٢٠٠١)،المدارس النحوية،دار الأمل، أربد ،الأردن.
(14) أبوزكريا الفراء،(١٩٦٤)،مذهب في دراسة النحو واللغة،الفنون والآداب والعلوم الجامعية، القاهرة.

٢-نتيجة لامتزاج العرب بالعجم كان العراق أكثر تفشيا لظاهرة اللحن.

٣-تميز العراقيون بالخبرة في العلوم والتأليف، وتعتبر مدينة البصرة السباقة الى احتضان النحو ما يقارب مائة عام قبل أن تحتضن الكوفة هذا العلم وهي بدورها أسبق من بغداد.

وعليه، فإن البصرة هي التي أصلت علم النحو، أما الكوفة فكانت مهتمة بقراءات القرآن ورواية الشعر.

ومن أهم العوامل التي جعلت البصرة تسبق غيرها من المدن هي:

العامل الجغرافي:

كان لموقع البصرة الجغرافي الدور في سبقها لاحتضان النحو والإهتمام به، فهي تقع على طرف البادية فكانت أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين خلت لغتهم من اللحن فأخذ أهل البصرة عن العرب دون الحاجة الى السفر.

العامل السياسي:

من المعروف أن البصرة كانت عثمانية أموية وكانت الكوفة علوية عباسية، وقد سكن الامام علي رضي الله عنه الكوفة واتخذها مقرا لخلافته ، حيث كان أهل الكوفة مطيعين له بيد أن أهل البصرة شقوا عليه عصا الطاعة، ومن ثم مجيء عائشة وجيش طلحة والزبير مطالبين بدم عثمان فكانت موقعة الجمل، وبعدها ظلت كل من البلدتين على ما هي عليه .

وعند حدوث مسألة التحكيم التي كانت الغلبة فيها للأموين صاروا يضمرون الكراهية للبصريين، وسرعان ما تغيرت الامور وسقطت الدولة الأموية، وقامت الدولة العباسية بداية من الكوفة وتمت المبايعة لأبي العباس السفاح أول الخلفاء الذي دعا لآل البيت فناصره الكوفيون فحفظ العباسيون هذا الموقف وصارت للكوفيين مودة عند العباسيين بعد إذلالهم من قبل الأمويين. وعليه، فقد تراجعت شهرة البصرة في الفترة العباسية إلا أنها كانت الأسبق اهتماما بالنحو في الفترة الأموية.

العامل الثقافي:

كانت البصرة موئلا لمجالس العلم والمناظرة، يأتي إليها الشعراء ورواتهم ويقصدها العلماء والأدباء للمذاكرة والرواية والأخبار، فكان اللغويون يأخذون عن أهل البصرة ثم يدونون ما يسمعوه عنهم، وفي الوقت نفسه لم تكن الكوفة بهذا المستوى حيث أن ساكنيها من الأعراب أقل عددا وفصاحة ممن كان في البصرة.

مصادر المدارس النحوية:

١-القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أفصح الكلام العربي ويعد المصدر الأول في الإحتجاج سواء في الشواهد اللغوية أو النحوية، بيد أن النحاة قد اختلفوا في موضوع الإستشهاد بالقرآن الكريم، فالكوفيون يقدمونه على غيره من كلام العرب سواء الشعر أو النثر. يقول الفراء: "إن لغة القرآن الكريم أفصح أساليب العربية على الإطلاق[15]. وأما البصريون فكانوا يتحفظون في الأخذ بالقرآن الكريم خاصة في اعتماد القراءات التي طعنوا في بعضها وأخضعوها لقواعد أقيستهم، فما وافق ذلك أخذوا به وما خالفه طعنوا فيه واعتبروه لايقاس عليه. وقد ورد في بعض استشهاداتهم الأخذ بأشعار مجهولة وقدموها على قراءات مشهورة.

٢-الحديث الشريف:

اختلف النحاة حول الشاهد من الحديث النبوي فمنهم من أجازه ومنهم من أنكره، ومن المجيزين قليل من الكوفيين وكثير من أهل المذهب المغاربي الأندلسي كإبن خروف وابن مالك، ومن المنكرين إبن الضائع وأبي

(15) أبو زكريايحى الفراء،معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي.

حيان الأندلسي وكذلك السيوطي. وقد برر من لايحتجون بالحديث عدم وثوقهم في بعض الأحاديث أنها من لفظ الرسول ﷺ. كذلك قولهم أن كثير من رواة الحديث من العجم. وبالرغم من ذلك فإن كثير من علماء اللغة والنحو قد استشهدوا بالحديث ومنهم سيبوية والمبرد وابن الأنباري.

٣-الشعر:

من الملاحظ أن الشواهد الشعرية هي أكثر من غيرها، فالشعر ديوان العرب ومستنبط آدابها[16]، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر وتعلمت اللغة[17]. والأشعار التي يحتج بها من الشعر الجاهلي والإسلامي، فالشعر الجاهلي معتمد وغير محدد بزمن، أما الإسلامي فقد اختلفوا في حده الزمني وفقا لاختلاف المكان، بيد أن المشهور هو الاحتجاج والاستشهاد بكلام عرب الأمصار الى نهاية القرن الثاني الهجري وأهل البدو من جزيرة العرب الى آخر القرن الرابع الهجري.

المدرسة البغدادية:

إلى جانب مدرستي البصرة والكوفة يقول بعض المعاصرين بوجود مدرسة ثالثة في بغداد. وقد اتفقوا على تسمية شيوخ المدرستين البصرة والكوفة، لكن فيما يتعلق بالمدرسة البغدادية بعضهم يتحدث عن ابن قتيبة، ويرى آخرون ابن كيسان هو أول شيوخ المدرسة البغدادية ويرى آخرون إنه الزجاجي وآخرون يرون أن الفراء هو المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية. وعلى أي حال فقد نشأ النحو في البصرة والكوفة وتطور على أيدي علماء البلدتين. وقد انتقل المبرد وابو العباس للتعليم في بغداد فاشتدت بينهما التنافس وكثرت المناظرات، مما جعل الدارسون يقبلون عليهما فأخذوا من هذا وذاك مايراه كل واحد مناسبا لاتجاهه. وعلى إثر ذلك نشأت المدرسة البغدادية على مبدأ الإختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية.

وفي القرن الرابع الهجري كان للمدرسة البغدادية منهجها الخاص، بيد أن هذا المنهج لم يكن جديدا من حيث الأصول أو الأسس او الإستنتاج، لكنه منهج يأخذ ما يراه مناسبا من المدرستين مع وجود بعض التعديلات. ثم أخذ منهجها في التوسع والسيطرة الى أن طغت على مدرستي البصرة والكوفة.

وبناء على ماسبق يمكن القول أن افتراض مدرسة ثالثة في بغداد الى جانب مدرستي الكوفة والبصرة يجب أن يؤخذ بحذر، اذ ان المدرسة البغدادية كانت تقوم على الإنتقاء بين المدرستين، أضف الى ذلك أن زمان نشأة هذه المدرسة هو نفس الزمان الذي تعمق فيه الخلاف بين البصريين والكوفيين.

آراء المؤلفين المحدثين حول قيام المدرسة البغدادية:

من الملاحظ أن المؤلفين المحدثين قد اختلفوا حول نشأة المدرسة البغدادية فاتجه بعضهم الى اثباتها فيما ذهب آخرون الى نفيها، والذين اثبتوا اختلفوا في أمور منها:

-مصطلح ومفهوم المدرسة والبغداديين.

-الفترة الزمنية لهذه المدرسة.

-المراحل التي مرت بها.

-علماء هذه المدرسة ومنهجهم.

وكان محمد الطنطاوي من الأوائل الذين قالوا بقيام ونشأة المدرسة النحوية البغدادية، إذ يقول: "إن فترة من الزمن بعد تلاقي مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة اختلفت فيها مناهج واتجاهات العلماء الى ثلاثة انحاء أعقبها

(16) أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري(١٤١٩)، الصناعتين،المكتبة العنصرية،بيروا.
(17) ابن فارس، الصاحبي في فقة اللغة.

اعتمادهم إلى الإكتفاء بالمذهب البغدادي الجديد الذي أساسه المستحسن من المذهبين لأنهما قد تأصلا ووصلا مداهما فلم يكن للمحدثين إلا النظر في الإختيار[18].

ثم أشار إلى أن البغداديين اتفقوا في جملة من الآراء مع الكوفيين وآراء أخرى مع البصريين. كما أشار الى العلماء الذين جمعوا بين المذهبين، فذكر منهم ابن قتيبة، وابن كيسان، والأخفش الأصغر، وابن الخياط، والزجاجي، والوشاء. أما الدكتور عبدالحميد حسن فأشار الى توافد البصريين إلى بغداد وقال: "وقد أتيح للبغداديين بهذا النظر في المذهبين البصري والكوفي وأضافوا الى ذلك مالهم من آراء خاصة[19].

أما الدكتور شوقي ضيف فيرى ان مدرستي الكوفة والبصرة اللتان اشتد تنافسهما في بغداد قد اندمجتا في نهاية القرن الثالث الهجري في مدرسة بغداد التي قصد نحاتها بانتخاب مزايا كل من المدرستين، وان هذا المذهب قد تدرج في أطوار متعاقبة حتى أوفى على غايته[20]. أما الدكتور مهدي المخزومي فرأى أن المدرسة البغدادية نشأت في الوقت الذي كان الصراع فيه قائما بين المبرد وثعلب، وأضاف ان نخبة من الدارسين أخذت عن شيوخ المدرستين فعرفوا المنهجين واستفادوا من الفئتين[21].

ويقول سعيد الأفغاني "كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية، هي السوق التي يروج فيها العلم والأدب، فكان يقصدها العلماء من كل الأقطار فالتقت لكل علم وفن ألوان وطوابع مختلفات تمازجت وكان منها ألوان جديدة تتصف بالسمة البغدادية العامة وذلك ما كان في النحو، فقد كان للكوفيين نصيب من نشر نحوهم كما شدت رحال علماء نحويين من البصرة إليها. وعليه، فقد نشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت المستحسن من المذهبين وشكلت المذهب البغدادي، وذكر من علماء هذه المدرسة سليمان الحامض وابن سراج وابن الخياط والكرماني[22].

خصائص المدرسة البغدادية:

١-السماع:

إن المدرسة البغدادية لم تقبل إلا ما سمعته من العرب الأقحاح الذين تميزوا بالفصاحة والبلاغة وخاصة سكان بوادي نجد والحجاز وتهامة من قيس وتميم وأسد، فأخذوا عنهم لاسيما في الأغراب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض الطائيين. ولم يؤخذ من غيرهم خاصة الحضر، ولا عن سكان البراري[23]. وكانوا يعملون مفاضلة بين لغات العرب، وهو الأمر الذي لم يهتم به الكوفيون فلا يميزون بين لغات العرب ويأخذون عن البدو والحضر.

وعلى هذا النهج صار البغداديون، فاللغات عندهم كما هي عند الكوفيين، يجوز الاستشهاد والإحتجاج بها ولايجوز أن ترد لغة، فهذا ابن جني أبرز اعلام المذهب البغدادي يقول "اللغات على اختلافها كلها حجة ويبرر ذلك بقوله الا ترى ان لغة الحجاز في إعمال ما ولغة تميم في تركه، كل منهما يقبله القياس[24].

ومن الملاحظ أن مخالفة البغداديين للبصريين لم تقتصر على عدم التمييز بين لغات العرب فحسب، بل كانوا يأخذون عن الأعراب الذين سكنوا الحضر[25]. وكان ابن جني مخالفا للبصريين من حيث أخذه عن الأعراب

(18) محمد الطنطاوي،(١٩٩٥)،نشأة النحو، دار المعارف.القاهرة.
(19) عبدالحميدحسن،(١٩٥٢)،القواعد النحوية، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة.
(20) شوقي ضيف،مقدمة إيضاح الزجاجي.
(21) مهدي المخزومي،(١٩٥٨)،مدرسة الكوفة،مطبعة مصطفى الحلبي مصر.
(22) سعيد الأفغاني،(١٩٠٩)من تاريخ النحو،دار الفكر ،لبنان.
(23) -شوقي ضيف،(١٤٢٦)،المدارس النحوية، دار المعارف، مصر.
(24) جلال الدين السيوطي،(٢٠١٤)،المزهر في علوم اللغة وانواعها،دار الكتب العلمية.
(25) ياقوت الحموي،(١٩٩٣)،معجم الأدباء،دار الغرب الاسلامي.

الذين سكنوا في الحاضرة، بيد انه لم يأخذ الا من الفصحاء الذين سلمت السنتهم من اللحن[26]. وكان ابن جني يثق بهؤلاء ويرى أنه اذا عدل الفصيح منهم لغته الى لغة أخرى سقيمة عافها ولم يعبأ بها. وخلاصة القول في مذهب البغداديين السماعي انهم يقفون وسطا بين المذهبين فلا يميزون بين لغات العرب ولايرفضون أي لغة منها، لكن يجيزون لأنفسهم الأخذ بلغة من غير رفض الأخرى او التنقيص منها وتضعيفها.

وفي الوقت نفسه كان البغداديون على اطلاع بلغات العرب، فكانوا يستطيعون التمييز بين ماجاء ومالم يجيء عنهم. قال الزجاجي: "لم يجيء في كلام العربي من الجموع على فعال الا ستة أحرف، من ذلك قولهم: ظئر، وظؤار، وعنز ربي، واعنز رباب، وتؤم وتؤام، وعزق، وعراق، ورخل ورخال، وفرير وفرار، لولد البقرة[27].

٢-القياس:

كان كلام العرب مصدرا مهما بالنسبة للبصريين، اذ بنوا عليه قواعدهم ، وكانوا لايقيسون على الأمثلة القليلة او النادرة. أما الكوفيون فكانوا يقيسون على المثال الواحد ولو تعارضت مع قاعدة من قواعدهم، بينما كان البغداديون يقفون وسطا بين مذهب البصرة ومذهب الكوفة في القياس، فقد يقبلون المثال الواحد الشاذ عند البصريين وفق مبدأ معين وذلك بعد مناقشة عقلية له ومن الممكن عدم قبوله. وأشار ابن جني لمبدأ المدرسة البغدادية في هذا النوع من الأمثلة، وموضحا إياه من خلال تقسيمه الى مراتب، يقول: "المسموع الواحد هل يجوز الاحتجاج به؟" وله احوال:

أحدها: أن يكون فردا لا يوجد ما يماثله في الألفاظ المسموعة مع اطباق العرب عن النطق به، فهذا من شأنه الاحتجاج به.

الحال الثاني: أن يكون فردا، بمعنى ان المتكلم به من العرب واحد ويخالف ما عليه الجمهور، فينظر في حال هذا المنفرد، فإن كان فصيحا في جميع ماعدا ذلك القدر الذي انفرد به، وكان ما اورده مما يقبل القياس، بيد أنه لم يرد به استعمال الا من جهة ذلك الفرد أو الانسان فالأولى ان يحسن الظن به، فربما اتى من لغة قديمة قد عفا رسمها. فإن كان الرجل الذي سمعت منه تلك اللغة المخالفة مضعوفا في قوله قد اشتهر لسانه باللحن فإنه يرد عليه.

الحال الثالث: أن ينفرد به المتكلم فلايسمع من غيره، لا ما يوافقه ولا ما يخالفه، فهذا يحتج به اذا تم التأكد من فصاحته. إذا فالمدرسة البغدادية لا ترفض المثال الواحد كالبصريين قبل النظر فيه ومناقشته ولاتقبله قبولا كليا كالكوفيين مهما كانت مصادرة.

٣-القراءات الشاذة:

اتفق النحويون على جواز الإحتجاج بالقرآن الكريم بجميع القراءات. وكانت نظرة البغداديين بأن لغة القرآن لايمكن التكلم بأجود منها. وكان الزجاج البغدادي يقول بخلوة من اللحن. اما ابن جني فيرى أن الشاذ قد يساوي في الفصاحة المجتمع عليه ، ومدعوما بالرواية التي تثبت صحته ورسوخه فلا يجب رده[28].

فابن جني حرص على توضيح سبب قبول الشاذ ودعم الرواية له، إذ يرى أن من أقوى الاسباب روايته عن الرسول ولأن الله أمر بالأخذ به، يقول تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه"[29]. وهو حكم يشمل المعنى واللفظ،

(26) -أبوالعباس القلقشندي،(١٤١٢)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة.
(27) أبوعالي القالي،(٢٠٢١)،الأمالي،المكتبة العصرية،لبنان.
(28) محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي.
(29) الحشر٧.

وأخذه هو الأخذ به لذا لايجوز رفضه، فإن قصر شيء منه عن بلوغه إلى الرسول ﷺ فلن يقصر عن وجه من الإعراب داع إلى الفصحة والاسهاب، فهو مما اراد الله بقبوله والعمل بموجبه[30].

وعليه، يتبين لنا ان البغداديين كانوا متوسطين بين البصريين الذين يرفضون الشاذ وبين الكوفيين الذين يقبلونه دون النظر فيه ومناقشته وتمحيصه، فكانوا -أي البغداديين- يجيزون من الشاذ مادعمته الرواية، وقام عليه الدليل فتكون نظرتهم اليه بأنه في مكان الفصيح الذي يقاس عليه، بيد أنها إذا افتقرت إلى الدليل رفضت.

٤-الإحتجاج بالحديث:

كان نحاة مدرستي البصرة والكوفة يستشهدون ويحتجون بالحديث بشكل نادر وقليل، في حين أن البغداديين قد خالفوا هذا المبدأ وجعلوا من الحديث مصدرا من مصادر السماع الأساسية واحتجوا به في مواضع كثيرة. على سبيل المثال فقد احتج به الزجاجي في جزم فعل الأمر للمخاطب، قال: واذا كان الأمر للمخاطب باللام كان مجزوما بها، نحو: لتخرج يا زيد. وروي عن الرسول ﷺ قرأ 'فبذلك فليفرحوا"، وقال في بعض المغازي "لتأخذوا مصافكم".

ولقد أكثر البغداديون من الاستشهاد والإحتجاج بالحديث، ومنهم أبو علي الفارسي الذي احتج به بأكثر من إثني عشر حديث في كتابه الشيرازي وحده.[31]

ومن العلماء البغداديين أيضا الذين أكثروا من الإحتجاج بالحديث الزمخشري، فقد احتج على إبدال السين شينا والشين سينا، قال: وفعيل المجموع على فعله، نحو قولهم: سراة في جمع سراة، وهو اسم جمع. ونرى في حديث أم زرع ونكحت بعده سريا أب ركب شريا[32].

٥-الإحتجاج بشعر المولدين:

قسم النحاة الشعراء إلى أربعة طبقات:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون.

الطبقة الثانية: الشعراء المخضرمون.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون كجرير والفرزدق والأخطل.

الطبقة الرابعة: المولدون، ويقال لهم المحدثون أمثال بشار وأبي نواس.

فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما إجماعا، وأما الثانية فهناك اختلاف حول جواز الأخذ عنها والاحتجاج بشعرها. أما ابن جني فلا يعتمد الإحتجاج بشعر المولدين إلا في مجال المعنى دون اللفظ. ومن البغداديين الذين استشهدوا بهذا الشعر أبو علي الفارسي إذ استشهد ببيت لأبي تمام :

(30) ابو الفتح عثمان ابن جني،(١٩٩٩)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها.
(31) عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة.
(32) جارالله محمود بن عمرالزمخشري،(١٩٤٥)،الأحاجي النحوية، مكتبة الغزالي، حماة.

من كان مرعى عزمه وهمومه

روض الأماني لم يزل مهزولا

نحاة المدرسة البغدادية وآرائهم النحوية المستحدثة:

١-ابن كيسان:

كانت لابن كيسان آراء نحوية انفرد فيها، فقد ذهب إلى أن اثنين واثنتان مبنيان مركبان، وذهب إلى أن (من) و(ما) الإستفهاميتين معرفتان، وذهب إلى أن التاء في أنت هي الضمير وهي التي في فعلت وقال أن المخصوص في جملة المدح أو الذم يعرب بدلا من الفاعل وأجاز توكيد المثنى بإفراد نفس وعين وتثنيتهما. كما أجاز الفصل بين فعل التعجب ومفعوله بلولا الإمتناعية، وعلل دخول لام الإبتداء على خبر إن على انها للتوكيد[33]. وذهب إلى أن (أمس) مبني و(غد) معرب. كما أجاز الفعل الذي يشتمل على معنى القسم قبل الواو.

٢-الزجاجي:

ومن أبرز آرائه النحوية التي كان منفردا فيها:

-كل المنادى منصوب عدا المفرد العلم فهو مبني على الضم في محل نصب.

-(قارب) فعل من أفعال المقاربة تحتاج الى اسم وخبر.

-(إلا أن يكون) أداة استثناء من أدوات الإستثناء وما بعدها يجوز فيه النصب والرفع.

-أن واخواتها تعمل جميعا اذا اتصلت بها ما.

-من شروط العطف ب (لا) ان لا يكون المعطوف عليه معمول لفعل ماض.

-جواز جر ما بعد (كذا) على ضرب من الحكاية.

-وجوب تكرر النعت في القطع.

-سوى اسم مرادف لغير.

-الفعل اللازم عند بنائه للمجهول نائب فاعله هو المصدر.

-جواز استخدام (لما) للإستثناء بمعنى(إلا).

-اثباته جمع جمع الجمع.

٣-أبو علي الفارسي:

وله آراء نحوية تميز وانفرد فيها ومنها:

-العامل في المعطوف فعل محذوف بعد أداة العطف.

-الحروف في الأسماء الخمسة حروف إعراب دالة عليه.

-الظرف والجار والمجرور هما الخبر وليس هناك عامل محذوف معلقات به.

-حروف العطف تسعة ولا يعتبر إما من حروف العطف.

-لام الإستغاثة متعلقة بها اداة النداء.

-إثباته (ما) الزمانية ولم يثبتها قبله احد.

---

(33) -خالد الجرجاوي،(٢٠١٩)،شرح التصريح.

-جواز زيادة (من) بعد الشرط.

-جواز عمل إسم الإشارة في المفعول معه.

-العامل في نصب (غير) الإستثنائية هو الحالية.

-جواز التنازع بين الحرفين.

-جواز وقوع التنازع في معمول متوسط.

-كل وبعض في حال قطعهما عن الإضافة نكرتان.

-لا تكون (لكن)عاطفة إلا بدخول الواو عليها.

"-لعل" تخفف وتعمل في ضمير الشأن محذوفا.

-تمييز (كم) اذا نصب التزم الإفراد فيه.[34]

٤-ابن جني:

وهو من أشهر علماء النحو البغداديين وله اتجاهاته النحوية التي تفرد فيها ومنها:

-إظهار متعلق الخبر اذا كان ظرفا.

-جواز تقديم المفعول معه على مصاحبه.

-جواز اظهار متعلق الخبر اذا كان ظرفا[35]

-جواز حذف المضاف والقياس عليه مطلقا.

-إبدال الجملة من المفرد بدل كل من كل.

-زيدت نون المثنى وجمع المذكر السالم عوضا عن الحركة والتنوين.

-المصدر من غير لفظ الفعل ينصب على التفصيل.

-جواز مجيء النون بعد المنفي بلا اذا كانت لا متصلة بالمنفي قياسا.

-أو للشك مصروفا إلى الرائي.

كثرة اللجوء الى التحليل والتأويل والجدل المصحوب بالإستدلال والتعليل:

لقد اكثر بعض العلماء البغداديين ومنهم ابن جني من التعليل والمبالغة والإسراف في استعماله، وكذلك ابن كيسان الذي اعتمد على التعليل وألف كتابه: المختار في علل النحو.

-استعمال اسلوب تقسيم الموضوع الى أجزائه وانواعه.

-تأثر بعض منهم بألفاظ المنطق والفلسفة فاستخدموا مصطلحاتها في كتبهم اللغوية والنحوية مثل: العرض والجواهر والعلة وعلة العلة والدليل والحجة.

من القواعد الخاصة بالمدرسة البغدادية:

-جواز عدم الفصل بين أن المخففة والفعل المتصرف.

-جواز اتباع محل المعطوف عليه مع عدم أصالته.

-جواز تعريف الحال مطلقا.

---

(34) خالد الجرجاوي،(٢٠١٩)،شرح التصريح.

(35) محمد عبدالله الطائي،(١٤٢٠)،شرح الكافية، دارالكتب العلمية.

-جواز بناء اسم لا مع ارتباط الظرف والجار به.

-تقدير عامل النصب في ويحه وأختيها من مادتها.

الخاتمة والنتائج:

من خلال ماسبق وصلنا الى النتائج التالية:

-بعد محاولات مثمرة تمكن العلماء البغداديون تأسيس مذهب فكري ومدرسة نحوية مستقلة من حيث تناول المسائل النحوية.

-كان هدف علماء هذه المدرسة البحث عن الحقيقة العلمية بعيدا عن التعصب.

-تأثر علماء هذه المدرسة بالمنطق فبنوا كثير من قضايا التعليل والاستدلال على عملية عقلية تخضع للمنطق النحوي.

-يتميز النحو البغدادي بطريقة خاصة في التعامل مع مصادر النحو العربي كالسماع والقياس.

-انفرد علماء المدرسة البغدادية بآراء نحوية أضافت نكهة خاصة للنحو العربي.

الهوامش:

١-بروكلمان(كارل)تاريخ الأدب العربي،ترجمة السيد يعقوب بكر،ورمضان عبدالتواب.

2-الجاحظ أبو عثمان بن بحر،(١٩٤٩)،البيان والتبيين، دار الغرب الإسلامية، بيروت.

3-جعفر عبابنة،(١٩٨٤)،مكانة الخليل بن أحمدالفراهيدي في النحو العربي،

4-أبوالعباس المبرد، الشعر والشعراء، دارالمعارف بيروت.

5-أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة،دار الجيل،بيروت.

6-ابن سلام الجمحي،(١٩٨٠)،طبقات فحول الشعراء،دار مدني، جدة.

7-أبوبكر الزبيدي الإشبيلي،(١٩٧٣)،طبقات النحويين واللغويين، دارالمعارف،مصر.

8-أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية.

9-الجرجاني علي بن محمد الشريف(١٩٨٥)،التعريفات،مكتبة بيروت،لبنان.

10-الأشموني،منهج السالك إلى ألفية ابن مالك.

١١-ابن منظور ،لسان العرب،دارلسان العرب،بيروت.

١٢-المرتضى الزبيدي،(١٩٦٩)،تاج العروس،طبعة الكويت.

13-خديجة الحديثي،(٢٠٠١)،المدارس النحوية،دار الأمل، أربد ،الأردن.

14-أبوزكريا الفراء،(١٩٦٤)،مذهب في دراسة النحو واللغة،الفنون والآداب والعلوم الجامعية، القاهرة

15-أبو زكريايحى الفراء،معاني القرآن، تحقيق أحمديوسف نجاتي.

16-أبوهلال الحسن بن عبدالله العسكري(١٤١٩)، الصناعتين،المكتبة العنصرية،بيروا.

17-ابن فارس، الصاحبي في فقة اللغة.

18-محمد الطنطاوي،(١٩٩٥)،نشأة النحو، دارالمعارف.القاهرة.

19-عبدالحميدحسن،(١٩٥٢)،القواعد النحوية، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة.

20-شوقي ضيف،مقدمة إيضاح الزجاجي،

21-مهدي المخزومي،(١٩٥٨)،مدرسة الكوفة،مطبعة مصطفى الحلبي مصر.
22-سعيد الأفغاني،(١٩٠٩)من تاريخ النحو،دار الفكر ،لبنان.
23-شوقي ضيف،(١٤٢٦)،المدارس النحوية، دار المعارف، مصر.
٢٤-جلال الدين السيوطي،(٢٠١٤)،المزهر في علوم اللغة وانواعها،دار الكتب العلمية.
25-ياقوت الحموي،(١٩٩٣)،معجم الأدباء،دار الغرب الاسلامي.
26-أبوالعباس القلقشندي،(١٤١٢)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة.
27-أبوعالي القالي،(٢٠٢١)،الأمالي،المكتبة العصرية،لبنان.
28-محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي.
29- الحشر٧
30- ابو الفتح عثمان ابن جني،(١٩٩٩)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها.
31- عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة.
32- جارالله محمود بن عمرالزمخشري،(١٩٤٥)،الأحاجي النحوية، مكتبة الغزالي، حماة.
33- خالد الجرجاوي،(٢٠١٩)،شرح التصريح.
34- خالد الجرجاوي،(٢٠١٩)،شرح التصريح.
35- محمد عبدالله الطائي،(١٤٢٠)،شرح الكافية، دارالكتب العلمية

قائمة المراجع:

1. بروكلمان، كارل (2018). تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر، ورمضان عبدالتواب، دار المعارف.
2. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (١٩٤٩). البيان والتبيين، دار الغرب الإسلامية، بيروت.
3. عبابنة، جعفر (١٩٨٤). مكانة الخليل بن أحمدالفراهيدي في النحو العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع.
4. أبوالعباس، المبرد(2013). الشعر والشعراء، دار المعارف، بيروت.
5. بن فارس، أحمد (1991). معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت.
6. الجمحي، ابن سلام (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء، دار مدني، جدة.
7. الإشبيلي، أبوبكر الزبيدي (١٩٧٣). طبقات النحويين واللغويين، دار المعارف، مصر.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1981). الخصائص، دار الكتب المصرية.
9. الجرجاني، علي بن محمد الشريف(١٩٨٥). التعريفات، مكتبة بيروت، لبنان.
10. الأشموني (1970). منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. مكتبة النهضة المصرية.
11. ابن منظور (1981). لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت.
12. الزبيدي، المرتضى (١٩٦٩). تاج العروس، طبعة الكويت.
13. الحديثي، خديجة (٢٠٠١). المدارس النحوية، دار الأمل، أربد ، الأردن.
14. الفراء، أبوزكريا (١٩٦٤). مذهب في دراسة النحو واللغة، الفنون والآداب والعلوم الجامعية، القاهرة.
15. الفراء، أبو زكريا (1983) معاني القرآن، تحقيق أحمديوسف نجاتي. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
16. العسكري، أبوهلال الحسن بن عبدالله (١٤١٩). الصناعتين، المكتبة العصرية، بيروت.

17. ابن فارس (1910). الصاحبي في فقة اللغة. المكتبة السلفية.
18. الطنطاوي، محمد (١٩٩٥). نشأة النحو، دار المعارف، القاهرة.
19. حسن، عبدالحميد (١٩٥٢). القواعد النحوية، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة.
20. ضيف، شوقي (2012). مقدمة إيضاح الزجاجي. دار الكتب العلمية.
21. المخزومي، مهدي (١٩٥٨). مدرسة الكوفة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
22. الأفغاني، سعيد (١٩٠٩). من تاريخ النحو، دار الفكر ، لبنان.
23. ضيف، شوقي (١٤٢٦). المدارس النحوية، دار المعارف، مصر.
24. السيوطي، جلال الدين (٢٠١٤). المزهر في علوم اللغة وانواعها، دار الكتب العلمية.
25. الحموي، ياقوت (١٩٩٣). معجم الأدباء، دار الغرب الاسلامي.
26. القلقشندي، أبوالعباس (١٤١٢). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة.
27. القالي، أبوعالي (٢٠٢١). الأمالي، المكتبة العصرية، لبنان.
28. محمود، محمود حسني (1986). المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي. مؤسسة الرسالة بيروت.
29. ابن جني، ابو الفتح عثمان (2010). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها. دار الكتب العلمية.
30. الزجاجي، عبدالرحمن بن اسحاق (1990). الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة.
31. الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (١٩٤٥). الأحاجي النحوية، مكتبة الغزالي، حماة.
32. الجرجاوي، خالد (٢٠١٩). شرح التصريح. دار الكتب العلمية.
33. الطائي، محمد عبدالله (2000). شرح الكافية، دار الكتب العلمية.